

فضائل الصبر على المجتمع المسلم



«قال رسول الله (ص): "ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومَن يتعفف يعفه الله، ومَن يستغن يغنه الله، ومَن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر".

فضائل الصبر:

إذا أحصينا فضائل النفس الإنسانية برز لنا في طبيعتها فضيلة الصبر والمصابرة، والثبات والمثابرة.

إذ أن هذه هي الفضائل التي تصنع الرجال وتنهض بالأمم، وتصل بها إلى أبعد الغايات من العلم والعمل، وترقى بها إلى الذروة في الصناعة والزراعة والتجارة، وسائر شؤون العمران.

وإذا لفتنا النظر إلى ما ينعم به البشر من النعم المادية والروحية طهر لنا أنَّهُ ثمرة الصبر والكفاح ونتيجة الدأب والمثابرة.

ومن ثم جاء الدين الإسلامي يوصي بالصبر؛ ويذكره في أكثر من سبعين موضعاً في القرآن الكريم.

ففي بعض الآيات يأمر به سبحانه فيقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران/ 200).

وفي بعضها يضيفه إلى □ تنويهاً به، ويخبر بأنّه مع الصابرين بتأييده وتوفيقه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ 153).

وهو السبيل إلى الرئاسة في الدنيا والإمامة في الدين:

(وَجَعَلْنَا مِذْبَاحَهُمْ أَوْثَمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة/ 24).

ولن يفوز أحد بدرجات القرب عند □ إلا عن طريق الصبر:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّخَذُوا الْغَنَّةَ وَاللَّمَّاسَ يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ) (آل عمران/ 142).

وقد جعل □ لكل عمل صالح جزاء مقدراً إلا الصبر، فإنّ الأجر فوق التقدير والحسبان:

(إِنَّ زَمًّا يُؤَوَّفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزُّمُر/ 10).

والصبر هو الفضيلة التي كلّف □ بها أولي العزم من الرسل. فعن عائشة أنّ رسول □ (ص) قال: "إنّ □ تعالى لم يرضَ من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر، ولم يرضَ إلا أن كلّفني ما كلّفهم فقال: فاصبر كما صابراً أولوا العزم من الرسل □ ولأصبرن كما صبروا".

وهو إحدى علامات الإيمان.

سأل رسول □ (ص) جماعة: "أؤمنون أنتم؟

فقال عمر: نعم يا رسول □.

فقال: فما علاقة إيمانكم؟

فقال: نشكر على الرخاء، ونصبر على البلاء، ونرضى بالقضاء.

فقال: مؤمنون ورب الكعبة".

وبهذه الصفة استحقت هذه الأمة التنويه بشأنها في الأولين.

قال أبو الدرداء: سمعت رسول □ (ص) يقول:

"إنّ □ عزّ وجلّ قال لعيسى بن مريم: يا عيسى، إنني باعث بعدك أمّة إن أتاهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، أعطيتهم من حلمي وعلمي".

مجالات الصبر:

وللصبر صور شتى، وشعب متعددة.

منها: الصبر في مواطن الحق، والثبات في وجوه خصومه حتى ينتصر، والجهاد من أجل استقرار المبادئ الكريمة، والعقائد الصحيحة، واحتمال الصعاب من أجل مطاردة الرذائل ومحاربة البدع والمنكرات حتى تختفي وتزول:

(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ
عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (لقمان / 17).

ومنها: احتمال أذى الغير ومقابلته بالعفو والمسامحة:

(وَإِنَّ عَاقِبَتُكُمْ ° فَعَاقِبُوا بِمِثْلِهِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ° وَاللَّئِن صَبَرْتُمْ ° لَهَيُّوَ
خَيْرٌ ° لِلصَّابِرِينَ) (النحل / 126).

(لَتَجِدَنَّ السَّادِقِينَ ° فِي أَمْوَالِهِمْ ° وَأَنْزَفْتُمْ كُفْرَهُمْ ° وَلَتَجِدَنَّ السَّادِقِينَ ° أَوْتُوا
الْكِتَابَ ° مِنْ قَبْلِكُمْ ° وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ° أَذَى كَثِيرًا ° وَإِنَّ تَصَابِرُوا °
وَتَتَّقُوا ° فَإِنَّ ذَلِكَ ° مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل عمران / 186).

وقد وقف رجل على رسول الله (ص) وهو يقسم الغنائم فقال: إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجهه.

فقال رسول الله (ص): "فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله - يرحم الله موسى، لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر".

ومن شعبه الصبر عما يفوت من الحطوط الدنيا، وعدم منازعة أهلها منازعة تفضي إلى الشقاق وحزازات الصدور.

والصبر عن معاصي الله بهجرها ومجاهدة النفس في تركها، مما يسم بها ويقرب بها إلى خالقها؛ ولهذا جاء الإسلام يمنعها من الاسترسال في الهوى والشهوة فيضع لكل حاسة أدباً، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن كل تصرف يصدر عنه.

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ° إِنَّ السَّمْعَ ° وَالْأَبْصَارَ ° وَالْأَفْئَادَ ° كُلٌّ °
أُولُوْكَ كَانُوا عَنْهُ مُسْتَكْبِرِينَ) (الإسراء / 36).

والإنسان لا يستغني عن الصبر في أداء العبادة والمواظبة على الطاعة، فقد ينتابه الفتور في العبادات البدنية، والبخل في العبادات المالية. فهو في حاجة إلى الصبر لينشط في الصلاة والحج والجهاد والسخاء بالإنفاق على المعوزين، ومواساة المحتاجين.

ومن أعلى مقامات الصبر: الصبر عند نزول النوائب، كموت أو ضياع مال، وضعف صحة، وفساد عضو من أعضاء البدن.

وهذا يقتضي حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن فعل ما يذم ويقبح.

وأن لا يغير عادة من عاداته في هيئته، ولا في أكله، ولا في ملبسه ولا في مظهر بيته، بل يبقى على عاداته إظهاراً لرضاه بقضاء الله.

وفي الحديث عن رسول الله (ص): "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في ولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة".

ويقول الرسول (ص): "ما يصيب المسلم من نَمَصَبٍ (التعب) ولا وَصَمَبٍ (المرض) ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يُشَاكها إلا كفر بها من خطاياها".

ولا يتنافى مع الصبر حزن القلب ولا دمع العين.

ففي الحديث: "إنَّ لا يعذَّبُ بحزن القلب ولا بدمع العين. وإنما يعذَّبُ بهذا - وأشار إلى اللسان".

ولما قبض إبراهيم، ولد رسول الله (ص) قال:

"إنَّ القلب ليحزن وإنَّ العين لتدمع، ولا نقول ما يغضب الرب، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون".

وكذا لو ذهبنا نتتبع مجالات الصبر لألفينا أنَّهُ لا يستغني عنه عالم يطلب الإمامة في العلم، ولا عامل يبتغي المهارة في العمل، ولا إنسان يريد أسمى الغايات ويصل إلى ذروة النجاح. ►

المصدر: كتاب دعوة الإسلام